نبي الله إبراهيم عليه السلام ابناً وأباً في القرآن الكريم

د. ياسر حسين مجباس

كلية العلوم الإسلامية / الفلوجة

د. عمار محمد صالح

الجامعة العراقية مبدأ

Prophet Abraham son and fatherIn the Qur'an

Dr.. Yasser Hussein Mjbas

Faculty of Islamic Sciences / Fallujah

Dr.. Ammar Mohammed Saleh

Iraqi University principle

Search Summary

Representing of achieving the ancient Arab and Islamic manuscripts accurate and difficult task, which is quite important for the sake of Arab and Islamic heritage service. and the best are doing to service this heritage is covered by academic researchers in the scientific studies sober and accurate, so do not leave an aspect of the manuscript has repeatedly beat research, study and scrutiny, there is hardly any student after them found in their studies that take him from criticizing or diminution; because being scientific academic studies supported.

Among these studies, which represents an aspect of the Arab and Islamic heritage service of the study, which dealt with the achievement of the manuscript had never been studied before, this book is (moen almufti on jwab almostafty), a book written by the mark-Faqih Mohammed altamartashy al-Hanafi deceased within the year (1004 AH), which is one of the most accredited references in Islamic jurisprudence on the doctrine of Imam Abu Hanifa Almighty God's mercy, has touched on a partial task of the philosopher of this book are issues (alarya) and related provisions .

Alarya intended to grant the benefit of something to someone who needs the same thing with the survival of the property of the original owner. It is what makes up the Borrowing. The researchers adopted in their study on the linear two copies of the manuscript book, and also adopted a good number of references and sources in the field of research, having been rendering his scientific study and adequate for the book and its author altamartashy brand and approach to the investigation.

ملخص بحث

الحمد لله والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.وبعد...

جاء هذا البحث داعياً الآباء والأبناء جميعا بالتأسي والاقتداء بخير البشر، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مخصصا حديثي بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام؛ إذ ضربه الله مثالاً رائعاً وأسوة حسنة للآباء مع أبنائهم، وللأبناء مع آبائهم، وهو من أكبر روابط الأسر الاجتماعية.

لقد سلك نبي الله إبراهيم عليه السلام جميع طرق الدعوة إلى الله تعالى مع قومه عامة، ومع أبيه خاصة، وهذا شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو ديدن الدعاة والمربين الصادقين

وعادتهم، وها هو القرآن الكريم يحكي ما حدث مع إبراهيم عليه السلام من محاورات ونقاشات، سواء مع قومه، أو مع الملك الطاغية، أو غيرها، كانت كلها دروساً وعبر وفوائد، فهي منهج حياة لكل مسلم يريد لنفسه ولمجتمعه العيش في سلام وأمان.

وقد اخترت من بين تلك المحاورات ما خصت الجانب التربوي والأسري، لكي يطلع عليها الأبناء والآباء في آن واحد، وينظروا لحياتهم طريقاً يمشون عليها، طريقاً يجنبهم كل المشاكل التي يعانون منها اليوم، فعقوق الأبناء كثير، وقسوة الآباء ربما أكثر.

جاء هذا البحث ليحل مشكلة أُسَرية كبرى، ويجمع بين الابن وأبيه، والأب وابنه، فيعرف كل واحد ما له وما عليه.

نعم جاء الإسلام بآياته وأحاديثه فلم يترك شيئاً من الحقوق والواجبات إلا وبينها، كان هذا البحث واحداً من بين تلك الموضحات لها، وقد عنونت البحث بعنوان: **(نبي الله إبراهيم عليه السلام ابناً وأباً في القرآن الكريم)**

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى، أحمده حمد الأولين والآخرين، وأصلي وأسلم على خاتم أنبياء الله أجمعين، صفوة خلق الله وأحبائه، أسوة المؤمنين، وعلى آله لوامع نوره، وصحبه خير قدوة لأحبابه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم لقائه.

وبعد ..

فإننا نعيش في زمنٍ كَثُرتْ مشاكلُه، ومجتمعٍ تفككت أواصرُه، وبيوتٍ فسدت علاقة أفراده، وكل ذلك كان بأسباب يكثر عدّها، ويطول سردها، أهمها ابتعاد النفس الإنسانية عن حقيقة الالتزام بشرع الله ﷻ، والتغافل عن الواجبات التي افترضها الله تعالى على كل فرد من أفراد هذا المجتمع.

ومن أكثر مشاكل البيوت التي نجدها اليوم هي سوء العلاقة بين الآباء والأبناء، بل يكاد لا يكون بيتا من بيوت المسلمين إلا وفيه أب ساءت علاقته مع أحد أبنائه، أو ابن سيء مع والديه، وعلى أقل تقدير تجد رابطة الحب والألفة والحوار والمشاورة بينهم ضعيفة وهزيلة، إن لم تكن معدومة أصلا.

ولهذا وغيره، وإسهاماً مني في إصلاح حال هذه الأمة، جاء هذا البحث داعياً الآباء والأبناء جميعا بالتأسي والاقتداء بخير البشر، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مخصصا

حديثي بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام؛ إذ ضربه الله مثالاً رائعاً وأسوة حسنة للآباء مع أبنائهم، وللأبناء مع آبائهم، وهو من أكبر روابط الأسر الاجتماعية.

لقد سلك نبي الله إبراهيم عليه السلام جميع طرق الدعوة إلى الله تعالى مع قومه عامة، ومع أبيه خاصة، وهذا شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو ديدن الدعاة والمربين الصادقين وعادتهم، وها هو القرآن الكريم يحكي ما حدث مع إبراهيم عليه السلام من محاورات ونقاشات، سواء مع قومه، أو مع الملك الطاغية، أو غيرها، كانت كلها دروساً وعبر وفوائد، فهي منهج حياة لكل مسلم يريد لنفسه ولمجتمعه العيش في سلام وأمان.

وقد اخترت من بين تلك المحاورات ما خصت الجانب التربوي والأسري، لكي يطلع عليها الأبناء والآباء في آن واحد، وينظروا لحياتهم طريقاً يمشون عليها، طريقاً يجنبهم كل المشاكل التي يعانون منها اليوم، فعقوق الأبناء كثير، وقسوة الآباء ربما أكثر.

جاء هذا البحث ليحل مشكلة أُسَرية كبرى، ويجمع بين الابن وأبيه، والأب وابنه، فيعرف كل واحد ما له وما عليه.

نعم جاء الإسلام بآياته وأحاديثه فلم يترك شيئاً من الحقوق والواجبات إلا وبينها، كان هذا البحث واحداً من بين تلك الموضحات لها، وقد عنونت البحث بعنوان: **(نبي الله إبراهيم عليه السلام ابناً وأباً في القرآن الكريم)**، واشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

أما المقدمة فقد جاء فيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار.

وأما المطلب الأول: فكان للتعريف بإبراهيم عليه السلام.

وأما المطلب الثاني: فإنه كان بعنوان: إبراهيم عليه السلام قدوة للابن البارّ.

ثم المطلب الثالث: وهو بعنوان: إبراهيم عليه السلام قدوة للأب الرحيم.

أما الخاتمة فكانت لأهم النتائج والتوصيات التي أفادها البحث.

والله أسأل التوفيق لي وللمسلمين، وأن يصلح بيوتنا، وبنا بيوت غيرنا، وأن يرفع الكرب والشدائد عنا وعن المسلمين جميعا.

المطلب الأول: التعريف بإبراهيم عليه السلام.

هو خليل الرحمن، والجدّ الحادي والثلاثون لسيدنا رسول الله ﷺ[1]: إبراهيم بن آزر[2]، أو تارح، ابن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح

يعود نسبه عليه السلام إلى القبائل الآرامية التي نزحت في الأصل من جزيرة العرب، واستقرت في منطقة حاران (حوران حاليا) قرب منابع رافدي الفرات –الخابور والبليخ–، ثم نزح بعض هذه القبائل إلى منطقة بابل جنوبي الفرات، فكان إبراهيم عليه السلام من ذريتها[٣].ذكر اسمه عليه السلام صراحةً في القرآن الكريم ثمانٍ وستون مرة.

أما صفاته فلم تذكر لنا كتب هذا الشأن من صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام الخَلْقية الشيء الكثير، سوى ما صحَّ عن نبينا ﷺ أنه قد وَصَفَ أباه إبراهيم عليه السلام بأنه يشبهه، فإذا نُظِرَ إلى النبي ﷺ فكأنما رئي إبراهيم عليه السلام، قال ﷺ: ((أمّا إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم))[٤]، يعني نفسه ﷺ، وأوصاف النبي ﷺ لدينا معلومة، والتي منها ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه يصف النبي ﷺ: ((كان رَبعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط))[٥].

وما جاء على لسان زوجة إسماعيل عليه السلام الثانية حين زارهم إذ قالت: ((شَيْخٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبَهُمْ رِيحًا))[٦]، وفي رواية: ((شَيخٌ حَسَنُ الهَيئَةِ))[٧].

وبهذا تتجلى لنا صفاته عليه السلام بما يصور لنا جمال صورته وكمال خلقته التي صوره الله بها، وبما يكفي من تعظيمه وحفظ مهابته عليه السلام في قلوب المؤمنين.

أما أوصافه الخُلقية عليه السلام فإنه أوّل من ضاف الضّيف، وأوّل من ثرد الثريد وأطعمه المساكين، وهو أوّل من قصّ شاربه، واستحدّ واختتن، وقلّم أظفاره، واستاك، وفرق شعره، وتمضمض واستنثر، واستنجى بالماء، وهو أوّل من شاب وهو ابن مائة وخمسين سنة[٨].

ولم يترك القرآن الكريم هذا الجانب من إبراهيم عليه السلام، إذ وصفه بأوصاف عديدة تجعله في قمة المحبوبين عند الله تعالى وعند المؤمنين، وفيما يأتي ذكر تلك الصفات مع الدليل القرآني الوارد فيها:

١) الصدّيقية: وهو آخر مقامات الولاية وأولُ درجات النبوة[٩]، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾[١٠].

٢) الحلم: ((ضبط النّفس والطبع عن هيجان الغضب))[١١]، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾[١٢].

٣) الأواه: وهو الذي يكثر التأوّه، ويقول: أَوَّه أَوَّه، وكل كلام يدل على حزن يقال له: التَّأَوُّه، ويعبّر بالأوّاه عمّن يظهر خشية الله تعالى(١٣)، وقد ورد ذكرها عن إبراهيم عليه السلام كما في الآية السابقة، وفي آية قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾(١٤).

٤) الإنابة: الذي أقبل على طاعة الله تعالى(١٥)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾(١٦).

٥) الكرم: وهو ((التَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ والاعطاء قبل السُّؤَال والاطعام في الْمَحَلِ))(١٧)، ويظهر هذا بسرعة إكرامه لضيفه حين جاءوه كما قال تعالى: (فما لبث)، أي فما تأخر مجيئه حتى جاء بالعجل. وقد جاء ذكرها في موضعين من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾(١٨)، وقال: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(١٩)

٦) أمّة: أي: جماعة، وسمي بذلك لأنه كان قائما مقام جماعة في عبادة الله تعالى(٢٠)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾(٢١).

٧) الوفاء: بذل المجهود في جميع ما طولب به، وهو الّذي بلغ التّمام من كلّ شيء(٢٢)، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾(٢٣).

٨) الخِلّة: مقام الخلّة، مقام في المعرفة الخاصة، وهي تخلّل أسرار الغيب، فيطلع على مشاهدة المحبوب، وهو أعلى من مقام المحبة(٢٤)، قال ابن الأثير: ((الصَّداقة والمحبَّة التي تخلَّلتِ القَلب فصارت خِلَالَهُ: أي في باطِنِه))(٢٥)، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾(٢٦).

المطلب الثاني: إبراهيم قدوة للابن البار

ذكر القرآن الكريم ما جرى من محاورة لطيفة من جانب، وقاسية من جانب آخر، بين ابن رحيم بارّ ناصح، وأب قاس متعنت متكبر، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ

وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾(٢٧).

إنه أحسن المناهج الدعوية، وأبرع احتجاج، بحسنِ أدبٍ ورزانةٍ وخلقٍ، حتى لا يرتكب الأب متن المكابرة والعناد، ولا ينأى عن سبيل الهداية والرشاد، هذا ما نهجه إبراهيم عليه السلام مع أبيه(٢٨).

قال عز وجل: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ ، أي: واذكر يا محمد لقومك الذين يعبدون الأصنام، اذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم مِنْ ذريته، ويدَّعونَ أنَّهُم على ملَّته(٢٩)، واذكر كذلك لمن آمن بك قصةَ أبيك إبراهيم، وأنه كان كثير الصدق وكان نبياً، كما أنت معهم فأنت الصادق وأنت النبي.

والصِّديقُ: ((اسم للمبالغة في الصِّدْق، ويقال لكل مَنْ صَدَّقَ بتوحيد اللَّه وأنبيائه وعمل بما يصدقُ به صِدِّيق))(٣٠).

ويشتهر الصدق في اللسان ويقابله الكذب، ولكن قد يستعمل الصدق في الأفعال والخلق وفيما لا يعقل، يقال: صدقني الطعام كذا وكذا قفيزا، وعود صدق للصلب الجيد، فوصف إبراهيم عليه السلام بالصدق على العموم في أقواله وأفعاله، والصديقية مراتب(٣١)، كان على أعلاها الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ومن هذه الأمة الكريمة أشهرهم الصحابي الجليل أبو بكر الصِدّيق رضي الله عنه.

ومن صِدْق إبراهيم عليه السلام في نبوته أنه دعا أباه إلى الحق المبين، ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ ، بدأ حواره باللطف والاحترام، واستجلاب قلب أبيه بأنه ينتسب إليه، فقال: (يا أبت)(٣٢).

ثم ابتدأ إبراهيم عليه السلام حواره بـ(لِمَ تعبدُ)، وهو استفهام إنكارٍ وتوبيخٍ(٣٣)؛ لأن العاقل لا يفعل فعلاً إلا لثمرة، وفيه تنبيه على عقم فعله، وقد يكون مريداً بالاستفهام المجاملة، واللطف والرفق واللين والأدب الجميل في النصح له(٣٤).

ثم يكشف إبراهيم عليه السلام الأمر غاية الكشف بقوله: (ما لا يسمع ولا يبصر)، أي: ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من خدمته أو يجيبك إذا ناديته، حالاً أو مآلاً، فهو (لا يَسْمَعُ) صوتاً، (وَلا يُبْصِرُ) شيئاً، (وَلا يُغْنِي عَنْكَ) أي: ولا يكفيك (شَيْئاً).

وصف الأصنام بثلاثة أشياء، السمع، والإبصار، والقوة المانعة من الرذائل الجالبة للمنافع، فانعدام كل واحد منها قادح في الإلهية، وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود، فلا

يستحقها إلا من له ولاية الإنعام وله أوصاف الكمال، وهو الله تعالى وحده، فلا يستحق العبادة إلا هو(٣٥).

ولما سأله عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن أن يجد جوابًا، انتقل معه إلى إخباره بأنه لا يتحدث معه إلا عن علم، فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ ، قد جاءني من العلم بواسطة الوحي والنبوة ما لم يأتك، ولم يصف أباه بالجهل إذ يغني عنه السؤال السابق(٣٦)، وهو من أساليب الأدب كذلك.

و(مِنْ) للتبعيض، أي: شيء من العلم ليس معك، وفُسّر (العلم) بأنه الوحي الذي أتى به المَلَك(٣٧)، أو: اليقين والمعرفة بالله(٣٨)، أو: العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها، أو: توحيد الله وإفراده بالألوهية والعبادة(٣٩)، فكل ذلك ممكن.

(فاتبعني) يا أبت على توحيد الله بالعبادة، وارفض الأصنام، (أهدك) جواباً للشرط، أدلك وأبين لك (صراطًا مستقيمًا) طريقًا واضحًا لا اعوجاج فيه، وهو الإيمان بالله ﷻ وإفراده بالعبادة.

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ انتقل إبراهيم عليه السلام من أمره باتباعه إلى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته، كونه يطيع الشيطان في عبادة الأصنام، ونفّره عن عبادة الشيطان؛ بأنَّ الشيطان كان عصياً للرحمن، إذ استعصى حين أمره بالسجود لآدم فأبى، فهو عدو لك ولأبيك آدم من قبل.

وفي لفظ (الرحمن) هنا تنبيه على سعة رحمته ﷻ، وأنَّ مَن هذا وصفه هو الذي ينبغي أن يُعبد ولا يعصى، وفيه إعلام بشقاوة الشيطان؛ إذ عصى، وارتكب ما طرده من هذه الرحمة(٤٠).

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾

الخوف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة))(٤١)، أو هو: ((توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب))(٤٢).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن (أخاف) بمعنى أعلم(٤٣)، قال ابن جرير: ((والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم، في قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ ﴾(٤٤))(٤٥).

والأولى حمل (أخاف) على المعنى الأصلي؛ لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن آيسًا من إيمان أبيه، بل كان راجيا له، وخائفا أن لا يؤمن، وأن يتمادى على الكفر، فيمسه العذاب.

والمعنى: (يا أبت إني أخاف) إنْ مُتَّ على عبادة الأصنام والشيطان، فسيمسك عذاب من الله في الدنيا أو في الآخرة، (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) أي: قرينا وصاحبًا له في النار(٤٦)، ويتبرأ الله منك فتهلك الهلاك الأبدي.

والولي: الخالص المصاحب القريب، بنسب أو مودة(٤٧).

خوّف إبراهيمُ أباه سوءَ العاقبة، وتأدّب معه، فلم يصرح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ المسّ الذي هو ألطف من المعاقبة، ونكّر العذاب، ورتّب على مس العذاب ما هو أكبر من العذاب وهو ولاية الشيطان، وصدّر كل نصيحة بقوله: يا أبت، فعل كلَّ ذلك توسلا إلى أبيه بأن يؤمن، واستعطافا له، واستجلاباً لفؤاده(٤٨).

وهذه المناصحات تدل على شدة تعلق قلب إبراهيم بمعالجة أبيه، والطمع في هدايته؛ قضاءً لحق الأبوة، وإرشادا إلى الهدى والصلاح، وهو كما قال لنا نبينا ﷺ: ((فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))(٤٩).

لقد خاطب إبراهيم عليه السلام أباه خطاب تلطف وتحبب، وخطاب أدب واستعطاف، فجابهه الأب بخطاب الإنكار لحقِّ البنوة، وردّ عليه احترامه بأسوء العبارات، ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾

استعمل بجملة: (أراغبٌ أنتَ عنْ آلهتي) الرغبة عن الشيء، وهي ترك الشيء عمدًا(٥٠)، وأغلظ له في الاستفهام بالاستفهام الإنكاري، ثم إنه ناداه باسمه (يا إبراهيم)، ولم يقابل (يا أبت) بـ(يابني)(٥١)، كل ذلك كاف على الرد العنيف الذي لا يستحقه إبراهيم عليه السلام.

و(راغب) مبتدأ نكرة، سوغ الابتداء بها اعتمادًا على أداة الاستفهام، و(أنت) فاعل سد مسدّ الخبر(٥٢)، وأعربه الزمخشري خبرًا مقدمًا، و(أنت) مبتدأ مؤخرًا، وذكر أنّ فيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد(٥٣).

ويترجح الأول على ما أعربه الزمخشري من كون (أراغب) خبرا و(أنت) مبتدأ بوجهين:

أحدهما: أنه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير؛ إذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ.

الثاني: أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو (أراغب) وبين معموله: (عن آلهتي) بما ليس بمعمول للعامل(٥٤).

ثم لما أنكر الأب على ابنه رغبته عن آلهته، توعده مقسمًا على إنفاذ ما توعده بـــه إن لم ينته، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ، أي: لئن لم تترك سبك لآلهتي، وإن كنت لا تريد عبادتَها ولا ترضاها فانْتَهِ عن سبِّها وشَتْمها وعيبها، فإنَّك إن لم تنْتَهِ عن ذلك اقتصصـــتُ مِنْك وشتمتُك وسببتُكَ(٥٥)، واتركني مدى الحياة.

توعده بأمرين: أولهما: الرجم، وآخرهما: الطرد. وكلاهما زيادة في التحقير والقســـوة الأبوية التي ظهرت من أول كلمة له.

وقيل: معنى (لأرجمنك) أي: لأضربنك بالحجارة. وقيل: لأقتلنك(٥٦).و(مليًّا) منصـــوب علـــى الظرفية، أي: دهرًا طويلاً، أو مدة حياتك(٥٧).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: (ملياً) بمعنى سالماً، والمعنى: اجتنبني سالمًا قبـــل أنْ يصيبك مني عقوبة، ويتوجَّه معنى المليّ هنا إلى قول الناس: فلان مليّ بهذا الأمر: إذا كـــان مضطلعا به غنيا فيه(٥٨).

فتقبل إبراهيم عليه السلام هذا العنف والتهديد قبول الابن البار الصابر على شطط الآباء، بل قابل هذا الموقف بحلمه المعروف، فما كان جوابه لأبيه إلا أنْ ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ قابل السيئة بالحسنة، والغلظة بالرحمة، فقال: سلام عليك.

وفي قراءة: سلامًا بالنصب على المصدر، أي: سلمتُ سلامًا، وهو دعاء له بالسلامة علـــى سبيل الاستمالة(٥٩)، وهو سلام متاركةٍ وفراق بمعنى المسالمة، وليسَ بتحيَّة.

وهو دليل لعلمائنا(٦٠) الذين قرروا أنه لا يجوز ابتداء الكافر بالسلام وهـــو رأي جمهـــور الأمة(٦١)، بل قال الإمام النووي عمن خالف هذا القول: ((شَاذٌّ ضَعِيفٌ))(٦٢).

وذهب بعض الفقهاء إلى تأويل ذلك فيما إذا كان لغير سبب يدعو إلى أن يُبدؤوا بالسلام، وأجازوا السلام على الكافر فيما إذا كان هناك سبب أو مقصد شرعي مباح، كقضاء ذمة أو أخذ حاجة تعرض من قِبَلِهم، أو حق صُحبة أو جِوار أو ســـفر، كمـــا هـــو مـــروي عـــن بعـــض السلف(٦٣). وهو الصحيح والله أعلم.

وإنما بدر من إبراهيم عليه السلام السلام على أبيه كمن يخاطب سفيهًا جاهلاً، وهو كما قـــال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[٦٥].[٦٦]

ولم يكتف إبراهيم بالسلام عليه، وإنما وعده بالاستغفار فقال: (سأستغفر لك ربي) أي: أدعو الله في هدايتك فيغفر لك بالإيمان(٦٧)، أو: سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته(٦٨).

(إنّهُ كانَ بي حَفيًّا)، أي إن ربي لطيف بي أشد اللطف. فالحفي: البر اللطيف الذي يعتني بالشيء أشد الاعتناء(٦٩)، ومنه الحَفاوَةُ وهي: ((المبالغة في السؤال عن الرجل والعنايةِ في أمره))(٧٠).

ولما كان في قول الأب: (لأرجمنك) فظاظة وقساوة قلب، قابله إبراهيم عليه السلام بالدعاء له بالسلام والأمن، ووعده بالاستغفار قضاءً لحق الأبوة، وإنْ كان قد صدر منه إغلاظ.

ثم لما أمره بهجره الزمان الطويل أخبره بأنه سيمتثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم، فقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: فقال إبراهيم عليه السلام لأبيه: سألبي دعوتك وطلبك، وأتركك أنت وقومك وما تعبدونه من الأصنام والأوثان، ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾(٧١)، أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له، ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ أي: عسى ألاّ أشْقَى بدُعائه وعبادته، كما تشقون أنتمُ بعبادةِ الأصنام، وقد ذكر عليه السلام ذلك على سبيل التواضُع، والتعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم، وفي (عسى) ترج في ضمنه خوف شديد(٧٢).

وقيل: يجوز أن يراد بالدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.(٧٣)

وقد استغفرَ إبراهيمُ عليه السلام لأبيهِ مدَّةً طويلةً، وبعدَ أن هاجرَ إلى الشَّام وبنى المسجدَ الحرامَ، وبعدَ أن وُلِدَ لهُ إسماعيل عليه السلام ثم إسحاق عليه السلام، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾(٧٤).

وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم مِنَ المشركين في ابتداءِ الإسلام، وذلك اقتداءً بإبراهيم الخليل عليه السلام في ذلك حتَّى أنزل اللهُ تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٧٥)، فأمرهم الله تعالى بالاقتداء بإبراهيم إلَّا في هذا القَولِ، فلا تتأسَّوا به، ثمَّ بيَّن تعالى أنَّ إبراهيم عليه السلام أقلعَ عن ذلك، ورجع عنه، قال جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ

إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾(٧٦). (٧٧)

المطلب الثالث: إبراهيم عليه السلام قدوة للأب الرحيم:

لما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه وما كانوا يعبدون، سار إلى أرض الشام، التي قال الله عز وجل عنها: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾(٧٨). (٧٩)

ثم انتقل إلى الأرض المقدسة فلسطين، فجمع إبراهيم عليه السلام من آمن به وكانوا قليلاً، وهم زوجته سارة وابن أخيه لوط عليهم السلام، إنه خرج مهاجراً كما أخبر بذلك القرآن الكريم، قال جل جلاله: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾(٨٠)، وقال جل جلاله: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾(٨١)، وما سار إبراهيم عليه السلام إلى مكان إلا ولقي أنواعا من الابتلاء، فما أن مكث في فلسطين إلا وعمَّ قحط كاسح بلاد فلسطين، مما جعل إبراهيم عليه السلام يقرر الاتجاه نحو مصر؛ بحثًا عن الرزق، فحدثت معه فتنة بسبب زوجته التي كانت فاتنة الجمال، مع الملك الذي كان لا يدع امرأة جميلة إلا واغتصبها، فحفظ الله إبراهيم وزوجه من ذلك، والقصة كما جاءت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل. قوله: (إني سقيم). وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا). وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية، فأُخِذَ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حَجَبَته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر فأتته، وهو يصلي فأومأ بيده مَهْيَا، قالت: ردَّ الله كيدَ الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر))(٨٢).

ففرَّ إبراهيم عليه السلام من مصر إلى فلسطين، ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل، وصحبتهم هاجر القبطية المصرية، فمكث إبراهيم عليه السلام عشرين سنة، ولم يرزق بذرية، فقَالَت سارة لإبراهيم عليه السلام: إن الربَّ جل جلاله قد أحرمَني الولد، فَادخُلْ على أمَتي هذه لعلَّ الله تعالى يرزقني منها ولدًا، فدخَلَ بِهَا إبرَاهِيمُ عليه السلام فحَمَلَت مِنهُ إسماعيل عليه السلام(٨٣).

ولم يكن إبراهيم عليه السلام بالرجل اليائس من رحمة ربه، بل كان كثير الدعاء والتضرع، ومما كان يدعو به: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٨٤).

وما من نعمة إلا وبعدها بلاء، فبد أن استجاب الله تعالى دعاء إبراهيم عليه السلام، وأعطاه سؤاله، امتحنه بإبعاده عن عينه رضيعاً، وإرساله مع أمه إلى مكة صغيراً، ولما كبر وبلغ السعي، أمره بذبحه بيده، إظهارا لمقام الخِلَّةِ الإلهية لإبراهيم عليه السلام، وقد جاءت الآيات القرآنية تصور هذا الموقف بأجمل تصوير، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾(٨٥).

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾أي: لما كبر إسماعيل وأصبح فتىً يافعاً، وشبَّ وصارَ يسعَى في مصالحه مع أبيه، أو أنَّ إسماعيل عليه السلام كان يمشي مع أبيه إبراهيم عليه السلام، ويسعيان معاً ويتحدثان معاً، فلما بلغ الابن السعي مع أبيه إلى نقطة معينة ومكان محدد، وكان قد رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا، أخبر الأب ابنه بالرؤيا التي رآها(٨٦).

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وعن عبيد بن عمير(٨٧) رضي الله عنه موقوفاً(٨٨): ((رؤيا الأنبياء وحي))(٨٩).

وقد جاء هذا الأمر بالمنام دون اليقظة؟ كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام، وكما وُعِد رسول الله ﷺ دخول المسجد الحرام في المنام، وما سوى ذلك من منامات الأنبياء، كان ذلك كله لتقوية الدلالة على كون الأنبياء صادقين مصدوقين؛ لأنّ الحال إما حال يقظة أو حال منام، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما(٩٠).

وهذا اختبار من الله ﷻ لخليله أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر، وقد طعن في السن، بعد ما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر، وواد ليس به حسيس ولا أنيس، ولا زرع ولا ضرع، فامتثل أمر الله تعالى في ذلك، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه، فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقهما من حيث لا يحتسبان(٩١).

ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفرده عن أمر ربه، وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره، أجاب ربه وامتثل أمره، وسارع إلى طاعته، فعرض ذلك على ولده؛ ليكون أطيب لقلبه، وأهون عليه من أن يأخذه قسرًا ويذبحه قهرًا، (قال يابُني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)؟.

وفي التعبير بالفعل المضارع (أذبحك)، دلالة على استمرار عملية الذبح في أكثر من ليلة، دون الإثبات فيه على انتهاء العملية، وإتمام الذبح.

واختلف القرّاء في قراءة قوله تعالى: (مَاذَا تَرَى)، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة، وبعض قراء أهل الكوفة: (تَرَى) بفتح التاء، بمعنى: أي شيء تأمر، أو فانظر ما الذي تأمر، وقرأ عامة قراء الكوفة كحَمْزَة والكسائي(٩٢): (تُرَى) بضم التاء، بمعنى: ماذا تُشير، وماذا تُرَى من صبرك أو جزعك من الذبح؟(٩٣).

وقرأ الأعمش والضحاك: (تُرَى) على بناء الفعل للمفعول(٩٤).

واعتماد القراءتين أولى من ترجيح أحدهما على الأخرى، فعلى فتح التَّاء أَرَادَ إبراهيم عليه السلام أن يختبر إسماعيل عليه السلام بالأمر على معنى الروية والرأي، وعلى قراءة الضم أراد بِهِ المشورة على أمر الله تعالى(٩٥)، وعلى كلا الأمرين لم يتردد إبراهيم عليه السلام في أمر الله تعالى، وإنما أرادها أن تكون مشورة وإظهاراً لرجاحة عقل الغلام الذي قال عز وجل عنه: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾(٩٦)، قال ابن جرير الطبري: ((لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله، ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العَزْم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه، فيسر بذلك أم لا وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله))(٩٧).

فبادر الغلام الحليم عليه السلام والده الخليل إبراهيم عليه السلام بجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد، يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضا كذلك وفي يقين، بجواب على سبيل التوقير والتعظيم؛ كما كان خطاب الأب: (يابُنَيَّ) على سبيل الترحم(٩٨): (قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾، بكل مودة وتقرب: (يا أبتِ)، فلا يزعجه شبح الذبح ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أدبه ومودته لأبيه، ياأبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحي، فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه، يحس أن الرؤيا أمر، (سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ستجدني إنْ شاء الله صابرًا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، ولا أزعجك بتذمري، ولم يكتفِ بكلمة (افعل ما تؤمر) وإن كانت كافية لتلبية وتنفيذ الأمر، ولكن هو الأدب مع الله تعالى، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال والاستعانة بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: (ستجدني إنْ

شاء الله من الصابرين).. لم يأخذها بطولة. ولم يأخذها شجاعة. ولم يأخذها اندفاعا إلى الخطر دون مبالاة. ولم يظهر لشخصه ظِلًا ولا حجما ولا وزنا.. إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به.أسلما جميعا لأمر الله واستسلما، ورضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبح ابنه، عن قتادة (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال: أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله(٩٩)، أو فلما تشهّدا وذكرا الله تعالى، فذكر إبراهيم عليه السلام على الذبح، والولد على شهادة الموت(١٠٠). أصل التَّلِّ: المكان المرتفع، وَتَلَّه، أسقطه على التل، كقولك: ترّبه: أسقطه على التراب(١٠١)، والمعنى: وصَرَعَه للجَبِين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما(١٠٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لما أُمِرَ بالمناسكِ عرَض لَهُ الشَّيطانُ عِندَ المسعى فسابقهُ فسبقهُ إبراهيمُ، ثمَّ ذهب به جبريلُ عليه السلام إلى جَمرَةِ العقَبَة فعَرَض لَهُ شَيطَانٌ فرماهُ بِسبعِ حَصَياتٍ حتَّى ذهب، ثمَّ عَرَضَ لهُ عِندَ الجَمرَةِ الوسطى فرمَاهُ بِسَبعِ حَصياتٍ، وثَمَّ تَلَّهُ للجبين وعلى إسماعيلَ قميصٌ أَبيضُ، وقال: يا أَبت إنهُ لَيس لي ثَوبٌ تكَفِّنُني فيه غَيرُهُ فاخلَعهُ حتَّى تكَفِّنني فيه، فعالجه ليخلَعَه فنودي مِن خَلفِهِ: (أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)، فَالتفَتَ إبراهيمُ فإذا هو بكَبشٍ أَبيضَ أَقرَنَ أَعْيَنَ(١٠٣).

وروي أنَّ إسماعيل قال: يا أبت اقذفني للوجه كيلا تنظر إلي فترحمني، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخل الشفرة من تحتي، وامض لأمر الله، فذلك قوله (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ)، فلما فعلا ذلك، ورأى الله تعالى استسلامهما ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ ﴾ (١٠٤).

الواو في (وناديناه) صلة مقحمة، مجازه: (ناديناه)، فنودي إبراهيم عليه السلام من الجبل: (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا)، (أَنْ) مفسرة بمعنى أي، وتصديقه عليه السلام الرؤيا توفيته حقها من العمل، وبذل وسعه في إيقاعها وذلك بالعزم والإتيان(١٠٥)، وقد تم النداء هاهنا، ثم ابتدأ عز وجل فقال: (إنا كذلك نجزي المحسنين)، والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده كذلك نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: ((جزاه الله عز وجل بإحسانه وطاعته، العفو عن ابنه))(١٠٦)، والجملة غير داخلة في النداء، تعليلية لإفراج تلك الشدة(١٠٧).

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ ﴾، إنّ هذا الأمر الذي حصل لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، هو الابتلاء والاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره، وهي المحنة الظاهرة صعوبتها، فما وقع لا شيء أصعب منه، فلا تكاد تخفى صعوبته على أحد. ولله عز وجل أن يبتلي من شاء بما شاء وهو سبحانه الحكيم الفعال لما يريد.

وقد يفسر البلاء هاهنا بالنعمة، قال مقاتل: ((النعيم المبين حين عفا عنه وفدى بالكبش))(١٠٨).

والآية مستأنفة استئنافا بيانيًا؛ لبيان كونهما من المحسنين، أو لبيان حكمة ما نالهما(١٠٩).

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، ولما صدق إبراهيم مع ربه، وإسماعيل عليه السلام مع ربه وأبيه جاء الفرج الإلهي، فأرسل الله إليهما كبشاً عظيما كبيراً ومقبولاً، يكون فداء لإسماعيل عليه السلام.

أخرج ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((خرج عليه كبش من الجنة. قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم عليه السلام ابنه واتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى، فرماه بسبع حصيات فأفلته عندها، فجاء الجمرة الوسطى فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته، فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها. ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه، فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حش، يعني: يبس))(١١٠).

واختلف العلماء في الذي أُمِر بذبحه مَنْ كانَ؟ على أقوال ثلاثة:

أولها: إنه إسماعيل عليه السلام، وإليه ذهب جمهور الصحابة والتابعين، كابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين رضي الله عنهم،

ثانيها: إنه إسحاق عليه السلام، وإليه ذهب عليٌّ وابنُ مَسْعُودٍ وكعب الأحبار، وجماعة من التابعين رضي الله عنهم(١١١). ورجحه ابن جرير الطبري(١١٢).

آخرها: مذهب التوقف، وهو ما يفهم من قول الزجاج إذ قال: ((والقول فيهما كثير واللَّه أعلم أيهما كان الذبيح))(١١٣).

ولكل حجته ودليله، وبعد الاطلاع على أدلة الأقوال، يترجح عندي ما ذهب إليه جمهور العلماء بأنَّ الذبيح و إسماعيل عليه السلام، ولعل من أبرز أدلتهم ما يأتي:

١) لما ذكر تعالى قصة الذبح قال على أثر ذلك: (وبشرناه بإسحاق نبيا)، فدلّ على أنه ليس إسحاق عليه السلام.

٢) قول الأعرابي للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين، وتبسمه ﷺ بوجهه[١١٤]، أدلّ دليل على ذلك[١١٥].

٣) قال ابن القيم: ((إسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهًا))[١١٦].

٤) قال الحافظ ابن كثير: ((هذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل)) وأطنب في الأدلة، ثم قال: ((وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القرآن، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل))[١١٧].

٥) قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾(١١٨)، مما يعني أن إبراهيم عليه السلام قد علم أنَّ إسحاق سيتزوج ويولد له يعقوب عليه السلام، والذي أمر بذبحه طفل بلغ معه السعي، مما يعني لو كان هو المقصود لاختل التبليغ أو لفقد ما فيه من البلاء المبين؛ إذ لو قال له ابنك هذا سيأتيه ولد ثم قال له اذبحه لعلم أن الأمر بذبحه غير حقيقي؛ لتعارضه مع الخبر السابق(١١٩).

٦) ومن الأدلة على ذلك ما قاله محيي السنة الإمام البغوي: أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج، قال الشعبي: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة، قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه(١٢٠).

٧) تتفق جميع الأقوال أن إسماعيل عليه السلام هو أول من وُلِد لإبراهيم عليه السلام، وهو بِكْرُه بما لا خلافَ فيه بين أهل المِلَل(١٢١)، فقد ورد في العهد القديم أنَّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح وحيده وبِكْره. ويعترف العهد القديم نفسه أنَّ بكره هو إسماعيل عليه السلام(١٢٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فهذه خاتمة لبحثنا تضمنت أهم نتائجه وتوصياته مما أفادها البحث في طياته.

أولا: النتائج:

١. جميع مشاكل الحياة وحلولها السريعة الناجعة هي في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لا ينبغي للناس التغافل عن ذلك.

٢. لا يخفى على كل عاقل مسلم ما للوالدين من حقوق وآداب، افترضها الله تعالى على خلقه، يجب على المسلم مراعاتها، وعدم الاستخفاف بها، وليعلم البارُّ بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يفِ بشكرهما.

٣. الوالدان أولى الناس بالأدب ومراعاة الألفاظ الحسنة، والمحبة، والشفقة، وبذل النصيحة لهما.

٤. الرحمة واللين في تعامل الأولاد يورث المحبة والألفة، والأسرة التي يكون أساس تعاملها فيما بينها الاحترام والرحمة، تكون أسرة مرحومة من مصائب الدنيا، وعثرات يوم القيامة. وهي مصداق حديث رسول الله ﷺ: ((**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ**))[١٢٣].

ثانيا: التوصيات:

١. يوصي البحث أصحاب الشأن بإقامة دورات ونشاطات ثقافية للشباب المسلم تحث بأسلوب وآخر على نشر حقوق الآباء على أبنائهم وتثقيف الجيل بأهمية ذلك.
٢. يوصي البحث بإيجاد مجالس يدعى فيها الآباء وإقامة حلقات نقاشية لعينات من المجتمع فيما بينهم، لإبراز أهم المشاكل التي يعانيها الآباء وإيجاد الحلول المناسبة لذلك.
٣. إقامة ملصقات جدارية في النوادي والأماكن العامة يعرض فيها بأسلوب تربوي صوراً أو حكايات لبعض الحوادث المؤثرة والتي كانت بسبب عقوق الوالدين، أو عقوق الأبناء، بما يحاكي عقول الشباب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث

(١) ينظر أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت:٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ: عدد الأجزاء ٣٣: (٣٢٢/٢).

(٢) اختلف العلماء في المقصود بـ(آزر) على أقوال. وسيأتي ذكر ذلك قريباً مفصلاً.

(٣) ينظر عبد العزيز صالح. الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق. مكتبة دار الزمان، عدد الأجزاء١: (ص: ٥٠٤).

(٤) صحيح البخاري: (١٢٢٤/٣، ح:٣١٧٧)، صحيح مسلم: (١٥٣/١، ح:٢٧٠).

(٥) صحيح البخاري: (١٣٠٢/٣، ح: ٣٣٥٤).

(٦) ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك: (٢٥٩/١).

(٧) صحيح البخاري: (٣/ ١٢٢٧، ح: ٣١٨٤).

(٨) ابن قتيبة، المعارف: (٣٠/١).

(٩) أبو سعيد الخادمي الحنفي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، (ت:١١٥٦هـ). بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية. مطبعة الحلبي، بدون طبعة، ١٣٤٨هـ، عدد الأجزاء٤: (٢٣٩/١).

(١٠) مريم: ٤١.

(١١) الراغب، المفردات: (ص: ٢٥٣).

(١٢) هود: ٧٥.

(١٣) ينظر الراغب، المفردات: (ص: ١٠١).

(١٤) التوبة: جزء من الآية ١١٤.

(١٥) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت:٣٧٣هـ). تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين.حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت. ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء ١: (ص: ٢٠٥).

(١٦) هود: ٧٥.

(١٧) ابن المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف (ت٣٠٩هـ). المروءة. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء ١: (ص: ٦٣).

(١٨) هود: ٦٩.

(١٩) الذاريات: ٢٤ – ٢٧.

(٢٠) ينظر الراغب، المفردات: (ص: ٨٦).

(٢١) سورة النحل: جزء من الآية ١٢٠.

(٢٢) ينظر الراغب، المفردات: (ص: ٨٧٨).

(٢٣) سورة النجم: الآية ٣٧.

(٢٤) أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت:٣٨٦هـ). قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء٢: (١٢٤/٢).

(٢٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (٧٢/٢).

(٢٦) سورة النساء: جزء من الآية ١٢٥.

(٢٧) سورة مريم.
(٢٨) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم: (٢٦٧/٥).
(٢٩) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٢٣٤/٥).
(٣٠) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: (٣٣١/٣)، وينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٧/٧).
(٣١) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٧/٧).
(٣٢) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٨/٧).
(٣٣) ينظر الشوكاني، فتح القدير: (٣٣٥/٣).
(٣٤) ينظر البقاعي، نظم الدرر: (٥٣٦/٤).
(٣٥) ينظر الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (ت:٧٤١هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: (١٨٩/٣).
(٣٦) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٨/٧).
(٣٧) ينظر الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ٣٣٢).
(٣٨) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١١١/١١).
(٣٩) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٩/٧)،
(٤٠) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٩/٧).
(٤١) الراغب، المفردات: (ص: ٣٠٣).
(٤٢) الجرجاني، التعريفات: (ص: ١٠١).
(٤٣) وممن ذهب إلى هذا الفراء في معاني القرآن: (١٦٩/٢)، وابن جرير الطبري في جامع البيان: (٢٠٤/١٨)، والسمرقندي في بحر العلوم: (٣٧٦/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٢١٧/٦).
(٤٤) سورة الكهف.
(٤٥) ابن جرير، جامع البيان: (٢٠٤/١٨).
(٤٦) ينظر الخازن، لباب التأويل: (٣/ ١٨٩).
(٤٧) ينظر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (٢٥٢٨/٦، مادة ولى)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: (١٨/٤).
(٤٨) ينظر الزمخشري، الكشاف: (٢٢/٣)، أبو حيان، البحر المحيط: (٢٦٩/٧).

(٤٩) صحيح البخاري: (١٠٩٦/٣، ح: ٢٨٤٧)، صحيح مسلم: (١٨٧٢/٤، ح:٢٤٠٦).
(٥٠) ينظر الفراهيدي، العين: (٤/ ٤١٣، مادة رغب).
(٥١) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٠/٧).
(٥٢) ينظر مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي المالكي (ت:٤٣٧هـ). مشكل إعراب القرآن. تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء٢: (٤٥٦/٢)، العكبري، التبيان في إعراب القرآن: (٨٧٦/٢)، أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٠/٧).
(٥٣) ينظر الزمخشري، الكشاف: (٣/ ٢٢).
(٥٤) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٠/٧).
(٥٥) ينظر ابن جرير، جامع البيان (٢٠٥/١٨)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٢٣٥/٥).
(٥٦) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٠/٧).
(٥٧) ينظر تفسير مقاتل: (٣١٤/٢)؛ ابن جرير، جامع البيان: (٢٠٦/١٨)، أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٠/٧).
(٥٨) ينظر ابن جرير، جامع البيان: (٢٠٦/١٨)، ابن الجوزي، زاد المسير: (٢٣٧/٥).
(٥٩) ينظر ابو حيان، البحر المحيط: (٢٧١/٧).
(٦٠) على اعتبار شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما ورد النص بخلافه. وللمسألة أدلة كثيرة ليس هنا محل ذكرها.
(٦١) ينظر الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت:٣٧٠هـ). أحكام القرآن. تحقيق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ: (٢١٦/٥).
(٦٢) النووي، المجموع: (٦٠٤/٤).
(٦٣) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١١/ ١١٢).
(٦٤) سورة الفرقان: جزء من الآية ٦٣.
(٦٥) سورة القصص.
(٦٦) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٢٣٥/٥).
(٦٧) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧١/٧).
(٦٨) ينظر ابن الجوزي، زاد المسير: (٢٣٧/٥).

(٦٩) ينظر الفراهيدي، العين: (٣٠٦/٣، مادة حفو).
(٧٠) الجوهري، الصحاح تاج اللغة: (٢٣١٦/٦، مادة حفا).
(٧١) سورة مريم.
(٧٢) ينظر الزمخشري، الكشاف: (٢٤/٣)، أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٢/٧).
(٧٣) ينظر أبو حيان، البحر المحيط: (٢٧٢/٧).
(٧٤) سورة إبراهيم.
(٧٥) سورة الممتحنة.
(٧٦) سورة التوبة.
(٧٧) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٢٣٦/٥).
(٧٨) سورة الأنبياء.
(٧٩) ينظر ابن كثير، قصص الأنبياء: (١٩١/١).
(٨٠) سورة العنكبوت.
(٨١) سورة الصافات.
(٨٢) صحيح البخاري: (١٢٢٥/٣، ح: ٣١٧٩)، وبنحوه في صحيح مسلم: (١٨٤٠/٤، ح: ٢٣٧١).
(٨٣) ينظر ابن كثير، قصص الأنبياء: (١/ ١٩٨-٢٠٠).
(٨٤) سورة الصافات.
(٨٥) سورة الصافات.
(٨٦) الخالدي، د.صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. دار القلم- دمشق، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء٤: (٣٩٥/١-٣٩٦).
(٨٧) عبيد بن عُمَيْرِ بنِ قتادة اللَّيثيُّ الجُندَعيُّ المكي، الواعظُ، المفسِّر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وحدَّث عن: أَبيهِ، وعن: عمر، وعليٍّ، وأبي ذرٍّ، وعائشةَ، وأَبي موسى الأَشْعَرِيِّ، وابن عباس، وطائفة ﷺ، وحَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُهُ عَبْدُ الله، وَعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، وعَمْرُو بنُ دِيْنَارٍ، وَجَمَاعَةٌ ﷺ، كانَ مِنْ ثِقَاتِ كبار التَّابِعِيْنَ وَأَئِمَّتِهِم بِمَكَّةَ. توفي سنة (٦٨هـ)، وقيل: تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٤هـ). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: (١٠١٨/٣)، الذهبي، سير أعلام النبلاء: (١٥٦/٤).
(٨٨) صحيح البخاري: (٦٤/١، ح:١٣٨).

(٨٩) سنن الترمذي: (٦٢٠/٥).
(٩٠) ينظر الزمخشري، الكشاف: (٥٦/٤).
(٩١) ينظر ابن كثير، قصص الأنبياء: (٢١٠/١).
(٩٢) ينظر ابن مجاهد، السبعة في القراءات: (ص:٥٤٨)، ابن زنجلة، حجة القراءات: (ص:٣٠٢)، الداني، التيسير في القراءات السبع: (ص:١٨٦).
(٩٣) ينظر الفراء، معاني القرآن: (٣٨٩/٢-٣٩٠)، ابن جرير، جامع البيان: (٧٥/٢١).
(٩٤) ينظر الزمخشري، الكشاف: (٥٦/٤)، ابن عطية، المحرر الوجيز: (٤٨١/٤).
(٩٥) ابن زنجلة، حجة القراءات: (ص:٣٠٢).
(٩٦) سورة الصافات.
(٩٧) ابن جرير، جامع البيان: (٧٥/٢١).
(٩٨) ينظر الآلوسي، روح المعاني: (١٢/ ١٢٤).
(٩٩) ينظر ابن جرير، جامع البيان: (٧٦/٢١).
(١٠٠) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٢٨/٧).
(١٠١) ينظر الراغب، المفردات: (ص:١٦٧، مادة تل).
(١٠٢) ينظر ابن جرير، جامع البيان: (٧٦/٢١).
(١٠٣) ينظر مسند أحمد: (٤٣٧/٤،ح: ٢٧٠٧).
(١٠٤) ينظر ابن جرير، جامع البيان: (٧٦/٢١).
(١٠٥) ينظر الآلوسي، روح المعاني: (١٢٥/١٢).
(١٠٦) تفسير مقاتل: (١٠٤/٣).
(١٠٧) ينظر الآلوسي، روح المعاني: (١٢/ ١٢٦).
(١٠٨) تفسير مقاتل: (٣/ ١٠٤]).
(١٠٩) ينظر الآلوسي، روح المعاني: (١٢٦/١٢).
(١١٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (٢٩/٧).
(١١١) ينظر تفسير مقاتل: (١٠٤/٣)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: (٣١١/٤)، السمرقندي، بحر العلوم: (١٤٠/٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١٠٠/١٥).
(١١٢) ينظر ابن جرير، جامع البيان: (٧٢/٢١).
(١١٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: (٣١١/٤).

(١١٤) رواه الحاكم في المستدرك: (٦٠٤/٢، ح: ٤٠٣٦) وسكت عنه، وقال الذهبي عنه: (إسناده واه)، غير أن الإمام العجلوني قد نقل عن غير واحد، وتتبع طرق الحديث، فحكم أن الحديث حسن؛ لتقوِّيه بتعدد طرقه. ينظر كشف الخفاء: (٢٢٧/١).

(١١٥) الزمخشري، الكشاف: (٥٨/٤).

(١١٦) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد. مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، عدد الأجزاء٥: (٧١/١).

(١١٧) ابن كثير، قصص الأنبياء: (٢١٥/١).

(١١٨) سورة هود جزء من الآية ٧١.

(١١٩) أخرج بنحوه ابن جرير عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، ينظر جامع البيان: (٨٤/٢١).

(١٢٠) ينظر البغوي، معالم التنزيل: (٣٦/٤).

(١٢١) ينظر ابن كثير، قصص الأنبياء: (٢١٠/١).

(١٢٢) ينظر العمري، د. أحمد جمال. دراسات في التفسير الموضعي، ط١، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، عدد الأجزاء١: (ص٢١٣)؛ الخالدي، د.صلاح عبد الفتاح. مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ط٢، دار القلم-دمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١٠م، عدد الأجزاء ١: (ص١٣٢).

(١٢٣) الترمذي، سننه: (٣٢٣/٤، ح: ١٩٢٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري (ت:٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، عدد الأجزاء٥.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ). زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء٩.

٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت:٧٥١هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد. مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، عدد الأجزاء٥.

٤. ابن المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف (ت٣٠٩هـ). المروءة. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء ١.

٥. ابن جرير، محمد ابن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ). تاريخ الرسل والملوك. دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ، عدد الأجزاء١١.

٦. ابن جرير، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٤.

٧. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ). حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، عدد الأجزاء:١.

٨. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٤.

٩. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ). المعارف. تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

١١. ابن كثير، (ت: ٧٧٤هـ). قصص الأنبياء. تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٢. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء ٨.

١٣. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ). السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، عدد الأجزاء: ١.

١٤. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ). إرشاد العقل السليم. دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٥. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت:٧٤٥هـ). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٦. أبو سعيد الخادمي الحنفي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، (ت:١١٥٦هـ). بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية. مطبعة الحلبي، بدون طبعة، ١٣٤٨هـ، عدد الأجزاء٤.
١٧. أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت:٣٨٦هـ). قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، عدد الأجزاء ٢.
١٨. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت:٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ: عدد الأجزاء ٣٣.
١٩. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت:٢٤١هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.
٢٠. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦.
٢١. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. صحيح البخاري والمسمى: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
٢٢. البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:٥١٠هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٢٣. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت: ٨٨٥هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، عدد الأجزاء ٨.

٢٤. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء١٠.

٢٥. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ). التعريفات. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م، عدد الأجزاء ١.

٢٦. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت:٣٧٠هـ). أحكام القرآن. تحقيق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٧. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، عدد الأجزاء ٦.

٢٨. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت:٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، عدد الأجزاء ٤.

٢٩. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي (ت:٧٤١هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،

٣٠. الخالدي، د.صلاح عبد الفتاح. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. دار القلم–دمشق، ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، عدد الأجزاء ٤.

٣١. الخالدي، د.صلاح عبد الفتاح. مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ط٢، دار القلم–دمشق، ١٤٣٢هـ–٢٠١٠م، عدد الأجزاء ١.

٣٢. الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو (ت: ٤٤٤هـ). التيسير في القراءات السبع. تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ١.
٣٣. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء. دار الحديث- القاهرة. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.
٣٤. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٥. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت:٣١١هـ). معاني القرآن وإعرابه. عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، عدد الأجزاء ٥.
٣٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،
٣٧. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت:٣٧٣هـ). تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين.حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت. ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء ١.
٣٨. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء ٥.
٣٩. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت:٧٦٤هـ). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م،
٤٠. عبد العزيز صالح. الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق. مكتبة دار الزمان، عدد
٤١. العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي (ت:١١٦٢هـ). كشف الخفاء ومزيل الإلباس. المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.
٤٢. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ). التبيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: ٢.
٤٣. العمري، د. أحمد جمال. دراسات في التفسير الموضعي، ط١، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، عدد الأجزاء١.

٤٤. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت: ٢٠٧هـ). معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.

٤٥. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ). العين. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

٤٦. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٤٧. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ١،٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤،٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، عدد الأجزاء ٥.

٤٨. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ). صحيح مسلم والمسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء٥.

٤٩. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي. تفسير مقاتل. تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء٣.

٥٠. مكي القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار المالكي (ت:٤٣٧هـ). مشكل إعراب القرآن. تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، عدد الأجزاء٢.

٥١. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ). المجموع شرح المهذب. دار الفكر.